

القرائن المتصلة

ثم إن القرائن تنقسم إلى : متصلة، ومنفصلة. أولا القرائن المتصلة: فيراد بها أحوال الراوي أو المروي أو السامع: (أ) أما أحوال الرواية : فمثلاً كونهم من أهل الصدق والأمانة إلى آخر الشروط ، ومثل توافق العدد على نقل حديث واحد ، أو توارد راوين على سياق متقارب ، مع اختلاف الآراء، وتباعد الديار، مما يعلم به أنهما لم يتواترا عليه ، وبعيد في العادة اتفاقهما على الكذب فهذه ونحوها قرائن تحصل العلم اليقيني بخبرهم (ب) أما أحوال المروي: فإن كلام النبي صلى الله عليه وسلم عليه من التور والبهاء والقوة في الأسلوب ما يعرفه به المتبصر في الدين . وكذا موافقته لما تهدف إليه الشريعة وكذا تأيده بالنصوص الأخرى بمعناه كل هذه قرائن توجب العلم القطعي به فلا يلتبس بالكذب والباطل على كل ذي عقل وفهم صحيح، فإن على الحق نوراً يبصره ذو البصيرة السليمة الذي يفرق بين الخبر الصادق والكاذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يفرق بين الليل والنهار. (ج) أما أحوال السامع: فإن من كان من أهل الحديث المشغلين بالسنة، والعالمين بمقاصد الشرع، وبأحوال الرجال كانت معرفته بالحديث أتم، وتمييزه بين الصادق والكاذب أقوى، بخلاف المعرضين عن ذلك الذين لا اشتغال لهم بعلم الحديث، وليس لهم خبرة بأحوال نقلته، فإنهم بمعزل عن معرفة الصحيح منه والسقيم، فلا يتأثرون بالقرائن ولا يفرقون بين الأخبار كما هو مشاهد. وقد يدخل في القرائن المتصلة تلقي الأمة للخبر بالقبول، وعملهم بموجبه أو اشتغالهم بتاؤيله، كما تقبلوا أحاديث الصحيحين في الجملة، وغيرهما مما ثبت كونه من الدين .
بإطلاق جمهور الأمة على العمل بما تضمنته. قال الحافظ ابن حجر في شرح النخبة : والخبر المتحقق بالقرائن أنواع: -1- منها ما أخرجه الشيوخان في صحيحهما، مما لم يبلغ حد التواتر، فإنه احتفت به قرائن . (أ) منها جلالتهما في هذا الشأن. (ب) وتقديمهما في تمييز الصحيح على غيرهما. (ج) وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول. وهذا التلقي وحده أقوى في إفاده العلم من مجرد كثرة الطرق الفاسدة عن حد التواتر. إلا أن هذا يختص بما لم ينتقه أحد من الحفاظ مما في الكتابين . وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه، حيث لا ترجح لاستحالة أن يفيض المتناقضان العلم، من غير ترجح لأحدهما على الآخر. وما عدا ذلك فالإجماع حاصل على تسليم صحته. ومنمن صرح بإفادته العلم النظري الأستاذ أبو منصور البغدادي والأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني ومن أئمة الحديث أبو عبد الله الحميدي وأبو الفضل بن طاهر . 2- ومنها المشهور إذا كان له طرق متباعدة، سالمة من ضعف الرواية والعلل. ومنمن صرح بإفادته العلم النظري الأستاذ أبو منصور البغدادي والأستاذ أبو بكر بن فورك وغيرهما . 3- ومنها المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقين، حيث لا يكون غريباً ، كالحديث الذي يرويه أحمد بن حنبل مثلاً ويشاركه فيه غيره ، عن الشافعي ويشاركه فيه غيره ، عن مالك بن أنس فإنه يفيد العلم عند سامعه بالاستدلال من جهة جلالة رواته، وأن فيهم من الصفات اللاحقة الموجبة للقبول ما يقوم مقام العدد الكبير من غيرهم. ولا يتشكك من له أدنى ممارسة بالعلم وأخبار الناس أن مالكا مثلاً لو شافهه بخير أنه صادق فيه، فإذا انصاف إليه من هو في تلك الدرجة أزداد قوته وبعداً عما يخشى عليه من السهو. انتهي نزهة النظر ص 10.. وعلى أن المراد بالقرائن هذا النوع يتلاقى هذا القول مع القول الأول ، وهو أنه يفيد العلم، فإن الأولين لم يكونوا يقطعون بكل خبر سمعوه، ولا بكل ما قبل إنه حديث. كيف وقد اشتهر تقسيمهم للأحاديث إلى صحيح وحسن وضعيف ؟ وحكمهم على كثير مما يسمى حديثاً بأنه موضوع مكذوب ، مع أنه خبر منقول بسند ورجال مسميين غالباً . وسيق ذكر ما اشترطوه في قبول خبر الواحد، وإفادته العلم من كون رواته ثقابٍ عدولًا ... إلخ. مما يدل على أن من لم يستوف تلك الصفات لا يقبل خبره ، ولا يفيد العلم، وإن أفاده الظن غالبًا .